

## الفصل الثاني

سنجر سلطانا أعظم للدولة السلجوقية

(٥١١-٥٥٢هـ / ١١١٧-١١٥٨م)

- (أ) انتصاره على محمود ابن أخيه محمد ثم افايته له سلطانا للسلجقة في العراق .
- (ب) بسط نفوذ سنجر على بقية أقاليم الدولة السلجوقية وتنصيبه سلطانا .
- (ج) تدخل السلطان سنجر في النزاعات بين السلاطين السلجقة في العراق ثم بينهم وبين الخلفاء العباسيين .

(أ) انتصاره على محمود ابن أخيه محمد ثم انابته له  
سلطانا للسلاجقة في العراق .

توفي السلطان محمد بن ملكشاه في عام ١١١٧/٥١١م ، وبعد وفاته بدأت المنازعات من جديد حول عرش السلطنة مما أحدث انقساماً كبيراً بين السلاجقة . ويرجع السبب في هذه المنازعات الى أن السلطان محمد قبيل وفاته أمر باسناد السلطنة الى ابنه محمود<sup>(١)</sup> ، الذي ارتقى عرش السلطنة بعد وفاة أبيه ، وكان حينئذ في الرابعة عشرة من عمره .

ووافق الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢/١٠٩٤-١١١٨م)<sup>(٢)</sup> على اقامة الخطبة للسلطان محمود ببغداد في يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من محرم سنة ٥١٢/١١١٨م .

ولكن عمه سنجر - ملك خراسان وماوراء النهر آنذاك - رفض أن يكون تابعاً لابن أخيه محمد، لأنه يعتبر نفسه أحق منه بالسلطنة بعد وفاة

(١) السلطان محمود بن محمد : هو أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، الملقب بمغيث الدين ، تولى السلطنة وهو صغير في سن الحلم ، وقد اشتهر بالحلم والكرم ورجاحة العقل والتسامح ، لا يطمع في أموال الرعايا ، عارفاً باللغة العربية ، ملماً بالأدب والتاريخ ، يميل الى أهل العلم ، وقد استمرت سلطنته اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً ، وتوفي على أثر مرضه سنة ٥٢٥/١١٣١م ، وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة .

انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٣٣، ٣٣٤ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

(٢) المستظهر بالله : هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن القائم أبو العباس ، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧/١٠٩٤م ، يقال أنه كريم الخلق وحسن السيرة ، يحب فعل الخير ، ويشق بمن يوليه ، ويميل الى حب الأدب والشعر ، وقد ألف له الغزالي كتابه "المستظهرى" في فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية ، ونشر قسم منه أما حياته السياسية فكانت مضطربة كثيرة الحروب حيث استولى الفرنج سنة ٤٩٢/١٠٨٨م على بيت المقدس وقتلوا أهله بالمسجد الأقصى ، وكان ذلك أثناء خلافته التي استمرت أربعة وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ومات سنة ٥١٢/١١١٨م ببغداد ودفن في حجرة كان يألفها .

انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٨١ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ص ٤٢٦ - الزركلي : الأعلام ، ج ١ ، ص ١٥٨ - زامبارو : معجم الأنساب ، ص ٤ .

أخيه محمد ، فأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة وغير لقبه من ناصر الدين الى لقب معز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه<sup>(١)</sup> ، وأدى ذلك الى انقسام الدولة السلجوقية . وقد تمثل هذا الانقسام في سلاجقة الشرق أو سلاجقة خراسان وسلطانهم سنجر بن ملكشاه ، وسلاجقة الغرب أو سلاجقة العراق وسلطانهم محمود بن محمد بن ملكشاه ، وأخذ كل من المعسكرين يكد للآخر<sup>(٢)</sup> . وقد ذكر سبط ابن الجوزي<sup>(٣)</sup> أنه في عام ٥١٢/١١١٨م خرجت والدة<sup>(٤)</sup> السلطان محمود بن محمد من أصفهان وتوجهت الى بلخ لمقابلة السلطان سنجر حيث طلبت منه نجدة ابن أخيه وأن لا يتأخر في ذلك والا سوف يلحق الهلاك والتلف للبلاد ونبهته من وزراء ابنها في استغلال صغر سنه وقيامهم بنهب الأموال والسيطرة على الملك .

وكان وزير السلطان محمود كمال الملك أبو الحسن علي بن أحمد السميرمي<sup>(٥)</sup> وكان مدبر أمره حاجبه علي بن بار بن عمر<sup>(٦)</sup> ، وكاتبه

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٨٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٩٦ - البستاني : دائرة المعارف ، ج ٩ ، ص ٧١٩ عبد النعم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ١٠٩ - حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٦١٠، ٦١١ - أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٥٤، ٥٣ .

(٣) مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ .

(٤) اسمها : جوهر خاتون زوجة السلطان محمد بن ملكشاه .

انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٧٩ .

(٥) كمال الدين السميرمي : هو علي بن أحمد السميرمي من مدينة يقال لها سميرم ، قرب أصفهان أهلها أذكيا ، عمل نائبا للوزير ثم وزر لزوج السلطان محمد - جوهر خاتون - وقد قامت باقتناع السلطان في جعله المشرف على دولته ، فدانت له الأمم ثم سجنه السلطان .

انظر الحسيني : نفس المصدر والصفحة - البنداري : دولة آل سلجوق ، ص ١٠٦ .

(٦) علي بن بار بن عمر : كان صاحب السلطان محمد ، ثم صار حاجب السلطان محمود ، وقد كبرت مولته ، وصار أكبر أمير عند السلطان محمود ، وكسب ود العساكر فالتقت له فحسده الأمراء على ذلك وقاموا بافساد حاله مع السلطان =

أبو القاسم الدرکزیبی<sup>(١)</sup>. وقد كان لهم دور كبير في اغراء السلطان محمود بعمة السلطان سنجر مما أدى الى حدوث القتال بينهما .  
وقد بدأ السلطان محمود بمحاولة التقرب لعمة سنجر فأرسل اليه الهدايا والتحف ووعده أن يحمل اليه مائتي ألف دينار كل سنة . وفي نفس الوقت بناء على مشورة وزرائه أرسل السلطان محمود الى والى سمرقند يخبره بأنه عزم على قتال عمة سنجر وطلب أن يفاجيء عمة سنجر بجيوشه من

= محمود ، وأشاروا عليه بقتله ، فلما علم بذلك هرب الى قلعة برجين وكان بها أهله وماله وجمع مائتي فارس وتوجه بهم الى خوزستان حيث طلب من حاكمها عهدا بحمايته ، وعندما وصل اليه منعه من قصدهم فحدث قتال بينهم ، فانهمز هو وأصحابه وأسروه ، فبعثوا الى السلطان محمود يخبرونه بذلك فأمرهم بقتله وحمل رأسه اليه وكان ذلك سنة ٥١٣هـ/١١١٩م .

انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ .

(١) أبو القاسم الدرکزیبی : أبو القاسم ناصر بن علي الانسلباذي الدرکزیبی ، عمل في البداية كاتباً لحاجب السلطان محمود (علي بن بار) ، وعندما تولى وزارة السلطان محمود سنة ٥١٣هـ ظهر منه الظلم وسوء التدبير للرعية ، واستباح سفك الدماء ، وشرع المنكرات وأتكر المشروعات ، وشرع في الفتك بالأحرار ، وهتك الأستار ومنهم القاضي زيد الاسلام أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي المعروف بحجر العالم وبحر العلم والحاكم بالعدل والعدل في الحكم . ورغم أفعال الدرکزیبی السيئة الا أنه استمر في الوزارة حتى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م حيث قبض عليه السلطان محمود في رجب من هذه السنة لاتهامه بمالأة الخليفة المسترشد بالله وعين بدلا منه شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن خالد وظل في الوزارة نحو عشرة أشهر ثم عزل نفسه وعاد الى بغداد . أما الوزير أبو القاسم فانه استمر مقبوضا عليه الى أن خرج السلطان سنجر الى الري سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م فأخرجه من الحبس في ذي الحجة واعادة الى وزارة السلطان محمود وتعتبر الوزارة الثانية له ، وظل بها حتى توفي السلطان محمود بن محمد سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م ثم تولى وزارة السلطان طغرل بن محمد ، وظل وزيرا له حتى أمر السلطان بقتله في الطريق أثناء قصده الري .  
انظر البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٣٥-١٣٩ - الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٧٨-١٧٩ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٢٣، ٣٤٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ - زامباور : معجم الأنساب ، ص ٣٣٩ - وورد عند ابن خلدون باسم علي الناصر . انظر العبر ، ج ٥ ، ص ٥٥ .

الخلف في الوقت الذي يتقدم فيه جيوش السلطان محمود لمحاربهه ، ومن ثم ينحصر عمه سنجر بين فكين ولايستطيع أن يقاوم هذا الحصار . ولما علم سنجر بما دبره ابن أخيه له ، عزم على قصد بلاد الجبل والعراق والاستيلاء على البلاد الخاضعة للسلطان محمود نظرا لصغر سنه وتحكم وزيره وحاجبه على الحكم .

وتحرك سنجر من خراسان قاصدا بلاد الري وأرسل في مقدمة جيشه الأمير أتر ، وكان في مقدمة جيش السلطان محمود حاجبه علي بن عمر . وقبل أن يلتقى الجيشان أرسل السلطان محمود حاجبه علي بن عمر الى سنجر يذكره بوصية السلطان محمد لابنه محمود بتعظيم شأن عمه سنجر وتنفيذ أمره على أن يحافظ سنجر على السلطنة لولده محمود ، ولكن هذه المحاولة التي قام بها السلطان محمود لم تمنع القتال بينه وبين عمه سنجر ، والتقى الجيشان بالقرب من ساوه<sup>(١)</sup> في الثاني من جمادى الأولى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ، وكان جيش السلطان محمود حوالى ثلاثين ألفا وجيش سنجر حوالى عشرين ألفا . وقد استهان جنود السلطان محمود بجنود عمه سنجر نظرا لكثرتهم وكثرة خيلهم ، وفي البداية حلت الهزيمة بيمنة وميسرة جيش سنجر ، واضطربت أحوال الجند ، أماسنجر فظل في القلب وأصر على استمرار القتال ولاسبيل في ذلك الا النصر أو القتل ، وأطلق مامعه من فيله فتراجعت خيل السلطان محمود وانقلبت على أعقابها فأصاب الفرع السلطان محمود فأشفق عليه سنجر من اطلاق الفيله نحو جيشه ، وبذلك حلت الهزيمة بالسلطان محمود وجيشه ، مما ترتب على ذلك قطع الخطبة للسلطان محمود واقامة الخطبة للسلطان سنجر بعد أن اعترف به الخليفة العباسى المسترشد بالله سلطانا أعظم للسلاجقة في ٢٦ جمادى الأولى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م .

(١) ساوه : قرية في الطريق بين هيمدان والري بينهما اثنان وعشرون فرسخا .  
محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المطار ، ص ٢٩٧ .

وسار السلطان محمود بعد هزيمته الى أصفهان بينما سار سنجر الى همذان<sup>(١)</sup>. وأرسل محمود الى عمه سنجر يطلب منه الصفح والمعدرة عما بدر منه ، معللا بأن ماصدر عنه ناشيء عن طيش الطفولة ، فاستدعاه السلطان سنجر بناء على طلب والدته (جدة السلطان محمود بن محمد) وصفح عنه وسأحه عما بدر منه ، وعامله معاملة حسنة ، كما شفح السلطان محمود بن محمد لكل من على بار وكمال السميرى ، وأبى القاسم الدرگزىنى عند السلطان سنجر فقبل شفاعته لهم واستقر الرأى على أن يبقى محمود بن محمد شهرا بخدمة عمه السلطان سنجر بالرى ، وألا يدق له البوق<sup>(٢)</sup> فى حالة ركوبه أو نزوله ، وأن يسير مترجلا فى ركاب عمه ، وأن يترك كل ما يتعلق

- (١) الأصفهاني : البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، مخطوط ، بمكتبة أحمد الثالث بتركيا تحت رقم ٢٩٥٩ ، مصور ميكروفيلم فى مركز البحث العلمى ، بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، تحت رقم ١٠٢٨ تاريخ ، ورقة ٩٧ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٨٦-٢٨٨ - ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٤٨،٤٧،٤٥ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ١٧٨-١٨٠ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج ٤ ، ص ٤٨،٤٧ .
- (٢) البوق : هى أداة مجوفة ينفخ فيها ويومر .

انظر المعجم الوسيط ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ج ١ ، ص ٧٧ .  
وهى أصلا من شعائر الخلافة وقد ذكرها آدم متر بقوله : "وكان من علامات سيادة الخليفة ببغداد أن يضرب على باب داره الطبول والدفادب والأبواق فى أوقات الصلوات الخمسة ، وكان لا يوقف ذلك الا أيام العزاء بدار الخلافة . وقد حاول الخليفة أن يحافظ على هذه المزية ويحول دون اتخاذ الاجراء لها ولكن ذلك لم يدم ، ففى عام ٩٧٨/٨٣٦٨م أمر الخليفة بأن يضرب الدفادب على باب اعضا الدولة فى أوقات الصلوات الثلاثة : الظهر والمغرب والعشاء ، وفى عام ١٠٢٧/٨٤٠٨م أذن الخليفة بعد اباء لجلال الدولة بأن يضرب الطبل أمام داره فى الصلوات الخمس ، وفى سنة ١٠٤٤/٨٤٣٦م ضرب الطبل أمام دار الأمير خمسا ، كما هو الحال بالنسبة للخليفة تماما" .

انظر الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، عصر النهضة فى الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ربه ، دار الكمال العربى ، بيروت ١٣٨٧/١٩٦٧م ج ١ ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

بشعائر السلطنة ورسومها(٣).

وأطاع محمود عمه السلطان سنجر ونفذ ما استقر عليه الرأي بينهما ، فقرر السلطان سنجر اختياره وليا لعهد ونايبا عنه في العراق سنة ١١١٩/٥٥١٣ م . وسمح السلطان سنجر له بأن يلقب بلقب سلطان ، وبذلك يعتبر أول من جلس على عرش سلطنة السلاجقة بالعراق هو السلطان محمود ابن محمد . وأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية خاضعا وتابعا لسلطنة السلطان الأعظم سنجر في خراسان ، بمعنى أن سلطنة العراق في عهد السلطان سنجر لا تكون الا لمن ارتضاه وأقره سنجر .

وكان سلاطين العراق يخضعون للسلطان سنجر ويذكرون اسمه في الخطبة قبل أسمائهم ، وقد اعترف الخليفة العباسي المسترشد بالله بمحمود بن محمد سلطانا على سلاجقة العراق رغم صغر سنه (٢).

وفي سنة ١١٢٠/٥٥١٤ م خطب للسلطان سنجر وابن أخيه السلطان محمود معا(٣).

وبذلك أصبح هناك سلطانان في آن واحد الا أن محمود كان يحكم بأمر من السلطان سنجر ومن ثم فهو خاضع له خضوعا كاملا في جميع أمور السلطنة . وقد أعاد السلطان سنجر لابن أخيه محمود بن محمد جميع البلاد التي كانت تحت سلطانه وحوزته ما عدا الري التي كان يراقب منها السلطان سنجر أعمال محمود خشية أن يخرج عليه ويعصيه مرة أخرى .

(١) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٣٠١، ٢٥٩ - محمد الحضري بك : محاضرات في تاريخ الأمم ، ص ٤٤٨، ٤٤٧ .

(٢) محمود بن محمد اقسرائي : تاريخ سلاجقة مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار ، تصحيح عثمان توران ، ص ٢٢٠ - عبد النعم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، ص ٩٧، ٩٦ - فاضل الخالدي : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص ٢٠٦ - حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٦١١ - أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٦٩ .

(٣) الذمهي : دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤١ .

وفى واقع الأمر فان سلطان محمود الفعلى كان قاصرا على العراقين  
العربى والعجمى ، وظل يحكم أربعة عشر عاما حاملا لقب سلطان ، حتى  
توفى فى شوال سنة ٥٢٥/١١٣١م (١).

---

(١) حسن أحمد عمود ، وآخر : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص ٦١٧ -  
أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص ٧٠،٥٥ .

(ب) بسط نفوذ سنجر على بقية أقاليم الدولة السلجوقية  
وتنصيبه سلطانا .

استطاع سنجر - قبل أن يتولى عرش السلطنة السلجوقية - أن يقوم بعدة فتوحات فبسط نفوذه وسلطانه على بلاد كثيرة ، فتمكن من فتح ترمذ وطخارستان في عام ١٠٩٧/٨٤٩١م ، وضمهما الى سيطرته ونفوذه ، كما استطاع أن يبسط نفوذه على اقليم ماوراء النهر عام ١١٠١/٨٤٩٥م ، واستطاع أيضا أن يفتح غزنة في عام ١١١٧/٨٥١٠م ويخضعها لسيطرته (١).

وبعد أن انتصر على محمود ابن أخيه - كما سبق أن ذكرت - أرسل الى الخليفة العباسي المسترشد بالله يطلب منه اقامة الخطبة له ، فأقر به وبعث اليه بخلع السلطنة الكاملة (٢). وافق الخليفة العباسي المسترشد بالله في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ١١١٩/٨٥١٣م بتنصيب سنجر سلطانا أعظم للسلاجقة واقامة الخطبة باسمه بعد الخليفة في كافة أقاليم الدولة السلجوقية (٣).

وبناء على ذلك اتسع نفوذه وسلطانه وشمل بالاضافة الى خراسان أكثر أقاليم ايران والعراق ، هذا وقد أكرم سنجر - بعد أن أصبح سلطانا أعظم

(١) انظر الفصل الأول من الرسالة .

(٢) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٣٣ - محمود فهمي المهندس : البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ، ج ٢ ، ص ٤٩ . ويرى ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٤٨ - وفاضل الخالدي : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص ٢٠٥، ٢٠٦ أن الخليفة العباسي المسترشد بالله أجابه الى طلبه باقامة الخطبة له .

ويرى الصدفي أن الخليفة المستظهر بالله خطب في فترة خلافته لثلاثة سلاطين هم تاج الدولة تتش ابن ألب أرسلان ، والسلطان بركيارق والسلطان محمد بن ملكشاه .

انظر تاريخ دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٨٨ - ابن العمري : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائي ، لايدن ، ١٩٧٣م ، ص ٢١١ - الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٦٠ - سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٦٥٧ - المقرئ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ج ١ ، ص ٣٤

للدولة السلجوقية - أبناء أخيه محمد فوزع عليهم حكم مدن وأقاليم إيران والعراق . فجعل للملك طغرل بن محمد ساوه وأمره (١) ، وسارق (٢) ، وسامان (٣) ، وقزوين (٤) ، وأبهر (٥) ، وزنجان ، وكيلان (٦) ، والديلم (٧) ، والطاقان (٨) . وللملك سلجوق شاه بلاد فارس كلها وسلمها إليه ولأتابخه

- (١) آره : بالقرب من مدينة ساوه وأهلها شيعة امامية ، وبينهما فرسخين .  
انظر صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوى ، ج ٢ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٤م ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ .
- (٢) سارق : لم أجد بهذا اللفظ وإنما وجدتها بلفظ "ساروق" وهى اسم لمدينة همذان ، وأساسها سارو فعربت ، وقيل ساروق .  
انظر البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ٦٨٢ .
- (٣) سامان : من محال أصبهان ، وهناك سامان أخرى بنواحي سمرقند .  
انظر محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٠٠ .
- (٤) قزوين : مدينة تقع باقليم الجبال على نحو مائة فرسخ شمال غربى طهران ، أرضها خصبة ، أهلها أشداء ، ظلت زاهرة فى القرون الوسطى الى أن دخلها المغول وخربوها فى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى - السابع عشر الميلادى .  
انظر البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٧٦٢ - كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥٣-٢٥٦ .
- (٥) أبهر : بلد بين قزوين وزنجان ، من قزوين إليها اثنا عشر فرسخا ، ومنها الى زنجان خمسة عشر فرسخا .  
انظر محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧ .
- (٦) كيلان : هو عبارة عن اقليم تحف به من الجنوب والغرب سفوح الجبال المتدرجة المكسوة بالغابات ، وقد سماه العرب (الجيل أو جيلان) وبه عدة مدن .  
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٦-٢٠٩ .
- (٧) الديلم : تقع جنوب غرب اقليم كيلان مما يحاذى جبال الطالقان وتارم . وقد جاء اسمها بصيغة الجمع فأطلق عليها الديلمان ، وكانت موطن بنى بويه (الديلمة) وكان لهم نفوذ على الخلافة العباسية فى بغداد آنذاك .  
انظر كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .
- (٨) الطالقان : مدينة فى خراسان تقع بين جبلين عظيمين وهى على جبل متصل بجبل الجوزجان ومرو الروذ وبنائوها بالطين .  
انظر محمد عبد المنعم الحميرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

قراجا الساقى ، وأضاف اليها بعض بلاد أصفهان . وأخذ أولاد السلطان محمد يتصرفون فى الأمور بإشراف وأوامر عمهم السلطان سنجر (١) .

وفى سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م قصد السلطان سنجر الرى وبرفقته مسعود وطغرل لعزل شيركيز (٢) أتابك طغرل عن الأتابكة وولاها للأمير قراسنقر (٣) وأقر له بلاد آرائيه (٤) .

وفى سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٣م وقع بين أرسلان خان والقارغليه (٥) من الترك بخلاف كبير جعلهم يعلنون العصيان عليه ، فاستنجد بالسلطان سنجر فعبر نهر جيحون بجنوده ووصل الى سمرقند وهرب القارغليه من بين يديه (٦) .

وفى سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٣م أصاب محمد خان الفاليج وجعل ابنه نصر خان على سمرقند ، واتفق انسان علوى ففیه بيده الحل والعقد والحكم فى سمرقند مع رئيس البلد على قتل نصر خان وقتلاه ليلا ، وكان أبوه محمد خان غائبا عن المدينة فاستدعى ابنا له من بلاد التركستان ، وحينما قارب وصول سمرقند خرج لاستقباله كل من العلوى ورئيس البلدة ، فما كان من ابن محمد خان الا أن قام بقتل العلوى وقبض على رئيس البلدة . وفى ذلك الوقت راسل محمد خان السلطان سنجر ظانا منه أن ابنه لن يستطيع التغلب على

- 
- (١) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .  
 (٢) شيركيز : هو الأمير أنوشتكين المعروف بشيركيز . ابنه عمر وهو أمير وحاجب السلطان محمود ، ثم قام السلطان بقتلهما معا فى جمادى الآخرة سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١م .  
 انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٣٣ - الحسينى : المصدر السابق ص ١٩٤ .  
 (٣) الأمير قراسنقر : عين أتابكا لطرغرل سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م .  
 انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ١٩٤ .  
 (٤) الحسينى : المصدر السابق ، ص ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٩٣ - ١٩٧ ، ٣١٦ .  
 (٥) هم طائفة من الترك . انظر ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ . وذكر ابن الأثير انهم كانوا جنودا لدى أرسلان خان ملك ماوراء النهر . انظر الكامل فى التاريخ ج ٩ ، ص ٢ .  
 (٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣ ، ٢ .

العلوى والرئيس ، فأجابه. سنجر وسار الى سمرقند ، وحينما علم محمد خان أن ابنه ظفر بالعلوى والرئيس ، أرسل الى السلطان سنجر مرة أخرى يطلب منه العودة الى خراسان ، فغضب سنجر ، وأقام فيها أياما ، وبينما هو في الصيد اذ رأى اثني عشر رجلا مسلحين فقبض عليهم وأقروا بأن محمد خان أرسلهم ليقتلوا السلطان سنجر فجهز جيشه في هذه السنة وسار به لقمع التمرد الذي قام به محمد خان .

- وذكر البعض (١) أنه صحب معه علاء الدين اتسز - فوصل الى مدينة سمرقند وحاصرها أربعة أشهر واستولى عليها ، ومن ثم عفا عن محمد خان بعد أن سيده أسيرا الى خراسان - كانت هذه الواقعة أول حرب للسلطان سنجر في بلاد ماوراء النهر (٢).

وقد أقام السلطان سنجر مدة بسمرقند حيث أخذ المال والسلاح والخزائن ثم ولى عليها الأمير قليج طغماج وهو أبو المعالي الحسن بن علي المعروف بحسين تكين (٣) وهو من أعيان بيت الخانية ، وبعدها عاد السلطان الى خراسان .

وبعد أن مات حسين تكين ولى السلطان سنجر على سمرقند محمود بن محمد خان (ابن أخته وهو ابن السلطان أرسلان) ملكا عليها (٤).

- 
- (١) نافع توفيق العبود : الدولة الخوارزمية ، مطبعة الجامعة ، بغداد ١٩٧٨م ، ص ٤٤ .  
 (٢) القلقشندی : مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فرج ، الكويت ، ١٩٦٤م ، ج ٢ ، ص ٣٠، ٢٢ - أرمنيوس فاميرى : تاريخ بخارى ، ترجمة أحمد حمود الساداتي ، راجعه يحيى خشاب ، القاهرة ، ص ١٤٢ .  
 (٣) ذكر ابن الأثير أن قليج طغماج تربطه قرابة بالسلطان سنجر ابن أخته ، وقد أطاحه أرسلان خان بعد أن كان من أعيان بيت الخانية .  
 انظر الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣ - الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٨٣ .  
 (٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٠، ٣٣١ - العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩١١ ، مصور ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم ١١٨٠، ١١٦٧ تاريخ ، ج ١٢ ، ورقة ٩ - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧ .

ومن هنا تبين أن السلطان سنجر استطاع أن يعيد بسط نفوذه وسلطانه على أراضي ماوراء النهر بعد العملية العسكرية الناجحة التي خاضها ضد محمد خان .

ويعتبر السلطان سنجر من السلاطين السلاجقة الذى أبدى اهتماما خاصا بمجريات الأمور في بلاد ماوراء النهر ، فكان يضطر دائما للذهاب الى أقاليم ماوراء النهر للتأكد من استقرار سلطنته على هذه الأقاليم .

وفي سنة ١١٣٢/٥٢٦م سار السلطان سنجر وتبعه الملك طغرل بن محمد من همذان الى نهاوند ، وقرر مسعود بن محمد والخليفة العباسى المسترشد بالله قتال السلطان سنجر ، وسار مسعود وأخوه سلجوق شاه ومعهما قراجا الساقى لقتال السلطان سنجر وتحلف عن المسير معهم الخليفة العباسى المسترشد بالله - كعادة الخلفاء العباسيين في موقفهم من سلاطين السلاجقة - والتقى العسكران عند الدينور<sup>(١)</sup> في الثامن من رجب من نفس السنة ، وكان طغرل بن محمد وقماج وأمير أميران على ميمنته السلطان سنجر وعلى ميسرته خوارزم شاه أتسز وجمع من الأمراء ، وكان على ميمنة مسعود بن محمد قراجا الساقى وعلى ميسرته يوسف جاويش ، فحملت ميسرة مسعود بن محمد على ميمنة السلطان سنجر وفيها طغرل بن محمد فهزمهما ، وعاد طغرل الى جانب عمه السلطان سنجر ، وحمل قراجا الساقى على القلب وفيه السلطان سنجر ، وثبت سنجر مع عسكره واشتد القتال بين الفريقين وجرح قراجا الساقى وأخذ أسيرا ، وقتل يوسف جاويش ، وانهزم مسعود بن محمد ، وأمر السلطان سنجر بقتل قراجا الساقى ، وعاتب مسعود بن محمد على عصيانه وأعادته الى كنجه وعاد سنجر الى خراسان بعد أن أجلس طغرل ابن محمد بن ملكشاه فى السلطنة وأسند اليه ولاية العهد وجعله نائبا عنه

(١) الدينور : مدينة من كور الجبل مابين الموصل وأذربيجان وهى فى قبة همذان ، اشتهرت بكثرة الثمار والزروع والبساتين والمياه ، واشتهر أهلها بالكرم والعلم منهم ابن قتيبة الدينورى ، وأبو حنيفة الدينورى .  
انظر محمد عبد المنعم الحميرى :الروض المعطار ، ص ٢٤٩ .

وخطب له في جميع البلاد (١).

وفي سنة ١١٣٨/٥٥٢٩م سار السلطان سنجر من خراسان الى غزنة وكان سبب ذلك أن بهرام شاه - صاحب غزنة - ظلم أهلها واغتصب أموالها وتكر في ولائه لسنجر . وما قارب السلطان سنجر غزنة أرسل بهرام شاه الى سنجر الرسل يطلب منه العفو على ما ارتكبه من ذنب ، فأجابه السلطان سنجر بالعفو والصفح عنه بشرط أن يحضر عنده ويدخل في طاعته . وعندما قارب بهرام شاه معسكر السلطان سنجر تملكه الخوف وولى هاربا ، فسار سنجر الى غزنة وملكها واحتوى على جميع مافيها ، وكتب الى بهرام شاه يلومه على ما فعله ، وأن كل ما يريد منه هو اصلاحه ورده الى ولائه وطاعته . ورد بهرام شاه على السلطان سنجر يخبره أن الخوف هو الذي دفعه الى الهرب ، ولالوم على من خاف من السلطان ، وطلب منه العفو والصفح فأجابه سنجر الى ذلك وأعاد اليه غزنة واستقر ملك غزنة لصاحبها بهرام شاه وغادر السلطان سنجر غزنة عائدا الى بلاده فوصل الى بلخ سنة ١١٣٩/٥٥٣٠م (٢).

وأمر السلطان سنجر بجمع الضرائب من مدن العراق وجميع البلاد التي بسط نفوذه عليها ، وأصبح يلقب "بالسلطان الأعظم" سلطان جميع الممالك السلجوقية ، وامتد نفوذه الى سائر البلاد حتى يقال ان الخطبة له وصلت الى كاشغر وأقصى بلاد اليمن ومكة والطائف ومكران (٣) وعمان

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٣٦، ٣٣٧ - الزيدى : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ١١٦ - الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٩٨، ١٩٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٤٩ - الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٨٤ - العيني : عقد الجمان ، ج ١٢ ، ورقة ٢٧ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٤ ، ص ١٦٤ .

(٣) مكران : وهو اقليم يقع في شرق فارس بايران ، أراضيها خصبة ، يشمل عدة مدن منها قصرقند ، بم بور ، جالك .

انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٩، ٣٦٠ .

وأذربيجان وغزنة ، وسمرقند ، وخراسان ، وطبرستان ، وكرمان ، وسجستان ، وأصفهان ، وهمذان ، والرى ، وآرنيه ، وآرمينية ، وبغداد ، والعراقين ، والموصل ، وديار بكر ، وديار ربيعة<sup>(١)</sup> ، والشام ، والحرمين ، كما كانت تضرب له السكة في هذه الأقاليم جميعها ، وأصبحت جميع هذه البلدان تخضع لنفوذ السلطان سنجر ، ويطأ بساطه ملوك هذه البلدان . ويعتبر السلطان سنجر آخر السلاجقة العظام لأنه استطاع أن يعيد للدولة السلجوقية هيبتها ووحدتها ، وأن يجعل كل أجزائها خاضعة لأمر سلطان واحد ، وأعاد بذلك عصر السلاجقة العظام<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ديار ربيعة : تقع في إقليم الجزيرة بالعراق ، شرق ديار مضر . تتكون من الأراضى التى تقع فى شرق الحابور (الكبير) المنحدر من رأس العين من الأراضى التى تقع فى شرق الهرماس وأشهر مدنها مدينة الموصل التى تعتبر قاعدة لها ، وتقع على ضفة دجلة الغربية .

انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١١٤-١١٥ .  
 (٢) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ١٨٠، ١٨٤ - اليزدوى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص ٩٦ - الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٦٥ - حسن أحمد محمود ، وآخر . العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص ٦١٠، ٦١١ .

(ج) تدخل السلطان سنجر فى النزاعات بين السلاطين  
السلاجقة فى العراق ثم بينهم وبين الخلفاء العباسيين .

كثرت النزاعات وظهرت الفتن بين سلاطين السلاجقة في العراق أبناء السلطان محمد بن ملكشاه ، وكذلك فيما بينهم وبين الخلفاء العباسيين ، وكان للسلطان سنجر دور كبير في التدخل في تلك النزاعات واخلاد الفتن وقمعها والقضاء عليها لاقرار الأوضاع واستتباب الأمن في أجزاء الدولة السلجوقية (١).

فبعد أن تولى السلطان محمود بن محمد أمر السلطنة جعل أخاه مسعود على الموصل مع أتاكه جيوش بك (٢) ، وفي سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م دب النزاع بين الأخوين وخرج مسعود عن طاعة السلطان محمود ، وكان سبب ذلك أن دبيس بن صدقة (٣) ،

(١) عبد النعم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، سلاجقة ايران والعراق ، ص ١٠٣ ، ١١٩ حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٦١٧ - توماس أرنولد : الخلافة ، ترجمة جميل معلى ، دار اليقظة العربية ، ص ٤٣ ،

(٢) هو : أى أبه جيوش بك ، تركي الأصل ، اتاك السلطان مسعود بن محمد ، ومن ممالك السلطان محمد ، كان عادلا حسن السيرة ، في سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م توجه مع السلطان مسعود الى العراق لقتال البرسقى ودبيس ، عندما تولى اماراة الموصل والجزيرة ، قام بقتال الأكراد حيث كثر فسادهم فأمنت الطرق وانتشرت الطمأنينة بين الناس ، خرج على السلطان محمود ، ثم عاد الى خدمته ، فرضى عنه وأقطعه أذربيجان وجعله قائدا لجيشه ، ثم حدث بينه وبين جماعة من الأمراء منازعات ، فأغروا به السلطان فقام بقتله على باب تبريز في رمضان سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م . انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٨٢ ، ٣٠٩ .

(٣) هو : دبيس بن صدقة بن علي بن مزيد صاحب الحلة . أسره سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١م تاج الملوك صاحب دمشق فسمع الخبر عماد الدين زنكى وطلب منه تسليمه دبيس غير أنه امتنع ، فسار الى دمشق وحاصرها وخربها فأجابه وأرسله فأيقن دبيس بالهلاك من عماد الدين زنكى الا أنه خلاف ماظنه فأحسن اليه وحمل له الأقوات والسلاح والدواب ، وقدمه حتى على نفسه ، ولم يزل دبيس مع عماد الدين زنكى حتى رافقه الى العراق وتقابلا مع جيش الخليفة المسترشد فانهزما منه ثم عاد دبيس الى الحلة سنة ٥٢٦هـ / ١١٣٤م .

قتله السلطان مسعود سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م على باب سرادق بظاهر مدينة خوى حيث أمر غلاما أرمنيا بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الأرض بأصبعه فضرب رقبتة وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بالحلة .

صاحب الحلة<sup>(١)</sup>، كاتب الأمير جيوش بك أتابك مسعود وأغراه بالعصيان على السلطان محمود، ووعده بطلب السلطنة لمسعود، وشرع جيوش بك في جمع العسكر وبلغ ذلك الخبر للسلطان محمود، فأرسل إليه والي أخيه مسعود ووعدهما الاحسان والصفح ان عادا الى طاعته ويتهددهما ان أصرا على معصيته، ولم يستجيبا للسلطان محمود وواصلوا عصيانهما له. وسار كل من جيوش بك ومسعود نحو السلطان محمود والتقى الجمعان عند أسهدأباد<sup>(٢)</sup> وسير محمود الى السلطان سنجر أبو سعد الهروي<sup>(٣)</sup> يفيده ويخبره بما استجد على الساحة من النزاع بينه وبين أخيه مسعود. وقد أسفر اللقاء عن هزيمة جيش مسعود وجيوش بك، وأسر أبو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي<sup>(٤)</sup>

= انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٤٩ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٣-٢٦٥ - خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج ١٠ ، ص ٤٦ .

(١) الحلة : هي مدينة كبيرة تقع بين الكوفة وبغداد على شط نهر الفرات .

انظر الحميري : الروض المطار ، ص ١٩٧ .

(٢) أسد أباد : مدينة تقع غرب همذان بايران ، أهلة بالسكان ، بها جامع وقصر السلطان وأسواق تجارية ، اشتهرت بكثرة الحيرات والعسل ، يسقط عليها في الشتاء ثلج كثير حيث يخزن ويحمل الى الأهواز وغيرها لبيعه فيها صيفا .

انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٣١، ٢٨٠ .

(٣) أبو سعد الهروي : هو القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي . ذهب

الى خراسان حاملا رسالة من الخليفة العباسي الى السلطان سنجر ، وكانت له مكانة مرموقة في الدولة السلجوقية لما يتمتع به من أخلاق حميدة ، قام بقتله الباطنية بهمذان بعدما عاد من خراسان سنة ١١٢٥/٨٥١٩ م .

انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣١٩ .

(٤) أبو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي : هو عميد الدولة مؤيد الدين أبو

اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الطغرائي ، يقال عنه فخر الكتاب ، كان بارزا في كتابة الانشاء ولامعا في الشعر وبناءا على ذلك فقد لقب بالأستاذ ، اشتهر بقصيدة لامية العجم قيل انه اتهم بالاحاد ، فقتل سنة

١١٢١/٨٥١٥ م .

انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٩٢ - سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٢

ص ٧٠٨ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٨٥-١٩٠ .

وزيره مسعود ، الذى قتله السلطان محمود . ثم أرسل مسعود الى أخيه السلطان محمود يطلب منه الأمان والصفح ، وجاء اليه وتعانقا وتصافا ، وأرسل السلطان محمود الى السلطان سنجر يخبر بما فعل مع أخيه مسعود ، فما كان من السلطان سنجر الا أن سعد بتصافى الأخوين وانهاء الخلاف والتزاع بينهما<sup>(١)</sup>.

وكان بين ديبس بن صدقة بن على بن مزيد ملك العرب وصاحب الحلة وبين الخليفة العباسى المسترشد بالله نزاع مما جعل الخليفة العباسى يشكو منه لكل من السلطان سنجر والسلطان محمود ، ومن ثم أبعد عن العراق<sup>(٢)</sup>.

وفى سنة ١١٢٥/٥١٩م كانت البداية الفعلية للتزاع بين الخلافة العباسية والدولة السلجوقية عندما لجأ ديبس بن صدقة الى طغرل بن محمد حيث حسن له الاستيلاء على العراق وطلب السلطنة ، فاستجاب طغرل لاغراء ديبس له فسار الاثنان على رأس جيش كبير الى بغداد لقتال الخليفة المسترشد بالله والسلطان محمود بن محمد ، وكان سبب مسيرة ديبس بن صدقة لحرب الخليفة مابينهما من نزاع وخلاف ، بينما كان هدف طغرل هو انتزاع لقب السلطان من أخيه محمود بن محمد . وحينما بلغ الخليفة بأن طغرل وديبس بن صدقة أعدا جيشا لقتاله ، أعد هو الآخر جيشا وخرج لصددهما الا أن طغرل مرض فجأة ومن ثم لم يشترك فى الحرب ضد الخليفة - المسترشد بالله . وتقابل جيش الخليفة مع جيش ديبس بن صدقة ، الا أن ديبس طلب العفو من الخليفة وقبل الأرض بين يدي الخليفة ، مما جعل الخليفة يصفح عنه .

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤ - ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، ص ٢٢، ٢٣ - الذهبى : دول الاسلام . ج ٢ ، ص ٤٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٠٧ .

ومن هنا يتبين أن خضوع ديبس بن صدقة وطلب العفو من الخليفة العباسي المسترشد بالله كان بمثابة هزيمة لديبس وانتصارا للخليفة .  
ثم لحق ديبس بن صدقة بطغرل بن محمد وسارا الى خراسان قاصدين السلطان سنجر شاكين له الخليفة المسترشد بالله ، وهما في طريقهما الى خراسان مرا بمدينة همذان فعائنا فيها الفساد ، ونهبها الأموال وظلما أهلها . فلما علم بخبرهما السلطان محمود بن محمد جد في السير اليهما وتحارب معهما وانتهى الأمر بهزيمتهما ، وبعدها واصلا السير الى خراسان حيث تقابلا مع السلطان سنجر فما كان من السلطان سنجر الا أن قبض على ديبس بن صدقة (١) .

كما اضطربت الأحوال بين الخليفة العباسي المسترشد بالله والسلطان محمود ، وكان سبب هذا الاضطراب بينهما أن الخليفة هدد الشحنة (٢) برنقش الزكوى (٣) لما حدث من نزاع بينه وبين نواب الخليفة ، فاضطر الى مغادرة

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣١٨ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٥٢، ٢٥٣ - الذهبي : دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٤ - ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٥٣ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٩٤، ١٩٥ .

(٢) لفظة عربية من شحن بمعنى ملاً ، وقد استخدمت أيضا للدلالة على الرابطة من الخيل في البلد لضبط أهله ، ثم استخدمت للدلالة على الوظيفة في الدولة الاسلامية ، وكان الشحنة يمثل مندوب الحاكم (خليفة أم سلطانا) يعين على المدن التابعة له وكانت مهمته مراقبة القوى المعارضة وصددها ، والدفاع عن المدينة والحفاظ على الأمن ، ويقوم بجمع المكوس والأموال . ويرأس شرطة المدينة ، وينضم تحت لوائه عدد من الجنود يتبعون العسكر العام ، وبعض الأحيان يتولى امارة المدينة .

انظر حسن باشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج ٢ ، ص ٦٢٣  
(٣) برنقش الزكوى : هو الأمير سعد الدولة برنقش الزكوى من عظماء وأكابر الدولة تولى امارة أصفهان بالاضافة الى شحنة بالعراق ، توفي سنة ٥٤٠/١١٤٦ م .

انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١١ - البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٧٨ .

بينما ورد ذكره في مصدر آخر بلفظ بيرنقش البازدار . انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٢١٢ .

بغداد خوفا من أن يصيبه أذى فلحق بالسلطان محمود الذي أغراه بالخليفة في رجب سنة ١١٢٦/٨٥٢٠م ، وحذره من الخليفة وأخبره أنه يعد العدة ضده ليمنعه من دخول بغداد ، فلما علم الخليفة بذلك أرسل اليه يطلب منه تأجيل خروجه الى حين اصلاح البلاد على أثر ماسببه ديبس وجيشه من فساد وكثرة الغلاء ، ثم استعد الخليفة لارسال المال على شرط أن يتأخر في القدوم الى بغداد . فما كان جواب السلطان أن نفذ ماقرره له الزكوى ، وصمم العزم على التوجه الى بغداد ، ونزل بباب الشماسية<sup>(١)</sup>.

فلما بلغ الخبر الخليفة العباسي المسترشد بالله عبر مع أهله الى الجانب الغربى راحلا من بغداد في ذى القعدة ، وظهر الحزن على وجوه الناس اثر مغادرته ، فطلب السلطان منه العودة ، فأجابه الخليفة على شرط رحيله عن بغداد ، فغضب السلطان لقوله وتوجه الى بغداد وبقي الخليفة بالجانب الغربى . وكان لخطبته في عيد الأضحى أثر كبير في نفوس الناس طبع عليهم طابع الحزن مما هم فيه ، ويبدو أن خطبة الخليفة أوعزت اليهم بالاستعداد لدخول الحرب مع السلطان محمود . ثم أرسل الخليفة عفيفا الخادم<sup>(٢)</sup> أحد خواصه الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان ، فوصلها ونزل بالجانب الغربى وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر<sup>(٣)</sup> بالجانب الشرقى ، فأرسل عماد الدين زنكى الى عفيف يطلب منه الرحيل فرفض ، فعبر اليه عماد الدين وحدث

(١) الشماسية : تقع خارج بغداد وينسب اليها باب الشماسية أحد أبواب بغداد .

انظر محمد عبد المنعم الحميرى : الزوض المعطار في خير الأقطار ، ص ٣٤٥ .

(٢) عفيف الخادم : لم أقف على ترجمة له .

(٣) هو : عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة آقسنقر ، ولد سنة ١٠٨٤/٨٤٧٨م اشتهر

بالشجاعة والبطولة ، أسس الدولة الأتابكية في الموصل سنة ١١٢٧/٨٥٢١م ، عين

نائبا للعراق ، انتصر في حروبه مع الصليبيين ، وكان له دور كبير في السياسة مع

الحلفاء العباسيين وسلطين الدولة السلجوقية ، قام بقتله مملوكه عند حصار قلعة

جعبر على الضفة الفرات بين بالس والرقرة في ربيع الآخر سنة ١١٤٧/٨٥٤١م .

انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٠٩ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ،

القتال بينهما وانهزم عسكر عفيف وقتل منهم عدد كبير بالاضافة الى الأسرى .

وسب الهزيمة يبدو ظاهرا حيث أن عفيفا لم يكن معه العبد الوافر من الجند ولا العتاد الكافي لخوض المعركة ، اذا قارنا ذلك بما مع عماد الدين زنكى حيث كان يعلم بأنه سوف يخوض معركة مما جعله يوفر العدد اللازم من الجند والعتاد الكافي لذلك ، بالاضافة الى قرب واسط من البصرة وتزويده بما يحتاج .

وقد نجا عفيف من القتل ، ويقال ان عماد الدين تغافل عنه لمودة تربط بينهما<sup>(١)</sup> .

ودخل جماعة من عسكر السلطان محمود في دار الخلافة في أول محرم سنة ١١٢٧/٨٥٢١م ونهبوا التاج وحجر الخليفة ، وخرج عليهم عسكر الخليفة العباسي المسترشد بالله من مخابئهم وهم منشغلون بالنهب ، ونالوا من عسكر السلطان محمود وأسروا جماعة من الأمراء وقتل آخرون في الطرق<sup>(٢)</sup> . ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقى ومعهم ثلاثون ألف مقاتل ، وخوفا من تسلل جيش السلطان محمود الى بغداد ، أمر الخليفة الجند بحفر خندق حول بغداد فسارعوا بتنفيذ ذلك ليلا . وعندما وصل جيش السلطان صعب عليه دخول بغداد ، مما أدى الى حدوث قتال بين الجيشين ، وكاد جيش الخليفة أن ينتصر لولا أن غدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردى<sup>(٣)</sup> صاحب اربل وانضم الى جيش السلطان ، ولعل الذى دفعه الى هذا اعتقاده بكثرة جيش السلطان محمود وخاصة بعد وصول الامدادات العسكرية البرية والبحرية برفقة عماد الدين زنكى . هذا الموقف جعل الخليفة يفكر جديا في الأمر وخاصة بعد أن أرسل السلطان رسلا بعرض الصلح عليه ، وكان

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٢١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) أبو الهيجاء الكردى : لم أقف على ترجمة له .

السلطان يهدف من وراء ذلك رضاء الخليفة لما يتمتع به من مكانة دينية عند الناس وتفانيهم في سبيله . وترددت الرسل بينهما ، ثم تم الصلح بينهما في العاشر من ربيع الآخر من نفس السنة . وعفا السلطان محمود عن أهل بغداد وأهداه الخليفة المسترشد بالله مالا وخيلا وسلاحا . ونظرا للمواقف السامية التي وقفها عماد الدين زنكي مع السلطان محمود ، قام السلطان بالتشاور مع رجال دولته باضافة ولاية العراق اليه ، فلقى تأييدا منهم على ذلك (١) . ثم رحل السلطان محمود الى همذان ، وفي طريقه اليها قبض على وزيره أبي القاسم علي بن القاسم (٢) حيث اتهمه بميله الى المسترشد بالله نظرا لكثرة سعيه في الصلح بينهما ، واستوزر بدلا منه شرف الدولة أنوشروان بن خالد (٣) .

ولما جاء السلطان سنجر الى الري أعاد الوزير أبا القاسم الى وزارة السلطان محمود في أواخر سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م (٤) .

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٢٢ .  
(٢) هو : أبو القاسم علي بن القاسم الانسابدى ، سجنه السلطان محمود بن محمد لاتهامه بميله الى الخليفة المسترشد بالله ، ثم جاء السلطان سنجر ، وأمر باطلاقه من سجنه وارجاعه الوزارة ثانية ، قام بقتله السلطان مسعود بن محمد أثناء محاربة أخيه طغرل في رمضان سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م .  
انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ .  
(٣) هو : شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد الكاشاني ، عين وزيراً للخليفة المسترشد بالله ثم للسلطان محمود ، ثم للسلطان محمد ، اتصف بالشهامة والتدين ، قام بعمل المقامات الحريرية ، يقال أن مذهبه شيعي وتوفي في صفر سنة ٥٢٣هـ / ١١٣٩م ، وحضر جنازته وزير الخليفة ودفن في داره ، ثم نقل الى الكوفة فدفن في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه .  
انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٦٥ - البندارى : دولة آل سلجوق ص ١٠٤ - خير الدين الزركلى : الأعلام ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .  
(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ - ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٥٥ ، ٥٤ .

وقد أثار ديبس بن صدقة السلطان سنجر على كل من الخليفة العباسي المسترشد بالله والسلطان محمود وأخيره بأنهما اتفقا على إبعاده وأن السلطان محمود خرج على طاعته ، مما أثار نفس سنجر عليه .

وهنا يتضح مدى الحقد في نفس ديبس على الخليفة وهذا يرجع الى سوء علاقته بالخليفة ، وقد استطاع أن يؤثر على السلطان سنجر مما دفعه الى أن سير جيشا الى العراق سنة ١١٢٨/٥٢٢م ، ولما وصل الى الري أرسل في طلب السلطان محمود .

وهنا يأتي دور الحنكة السياسية التي كان يتصف بها سنجر ، بالإضافة الى العلاقة القوية التي تربطه بالسلطان محمود ، حيث انه ابن أخيه وزوج ابنته وكذلك تأثير والده سنجر (جدة محمود) عليه ، كل هذا جعله يستدعى السلطان محمود من همذان كي يتثبت مما أخبره به ديبس بن صدقة وتؤكد سنجر أن السلطان محمود مازال على طاعته وأجلسه معه على التخت وأقام محمود عند السلطان سنجر حتى آخر هذه السنة ، وهنا يتبادر الى الذهن تساؤل لماذا لم يقم السلطان سنجر بمعاوية ديبس على زعمه الباطل؟ أعتقد أن ديبس كان له دور سياسي بارز في الوقوف بجانب السلطان سنجر ضد معارضيه ، لذلك لم يعاقبه على ما فعله معه .

وبعد ذلك عاد سنجر الى خراسان وأوصى محمودا باعادة ديبس الى بلده وأن يسأل الخليفة الصفح عنه ، ثم عاد محمود الى همذان ومعه ديبس ثم سار الى بغداد في محرم سنة ١١٢٩/٥٢٣م ، وأعاد ديبسا الى بلده واسترضى الخليفة فرضى عنه وطلب منه الصفح فصّح عنه<sup>(١)</sup> مقابل بذل مائة ألف دينار نظرا لرغبة السلطان محمود في انتقال ولاية الموصل من عماد الدين زنكي الى ديبس بن صدقة تقديرا لاهتمام عمه سنجر به كما لا يستبعد

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٢٨، ٣٢٢ - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٨، ٢٨٩ - ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٠، ٦٠ - الذهبي : العبر في خير من غير ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

أن يكون وراء ذلك زوجته لأنها كانت تعتنى بدبيس وتدافع عنه ، مما دفع الأول الى الحضور سريعا بنفسه مصطحبا معه الهدايا والأموال للسلطان ، ونزل عنده ثلاثة أيام ، فما كان منه الا أن أعاد امارة الموصل له ، وبقي السلطان محمود في بغداد الى الرابع من جمادى الآخرة من نفس السنة ثم رحل الى همذان ، ثم توفيت زوجته (الخاتون) سنة ١١٣٠/٥٥٢٤م ويبدو أنه كان لها دور بارز في تسيير أموره اذ جاءت وفاتها كارثة على دبيس حيث فقد المكانة التي كان يتمتع بها عند السلطان ، وساءت العلاقة بينهما وحاول دبيس أن يسترضى السلطان والخليفة المسترشد بالله الا أن محاولته تلك باءت بالفشل ، فأرسل السلطان من يتعقبه لاحضاره له ، وعندما علم بذلك رحل الى البرية . وفي ذى الحجة من نفس السنة غادر السلطان مسعود ابن محمد خراسان - حيث كان عند عمه السلطان سنجر - فوصل ساوه ويقال قد عزم على معارضة أخيه السلطان محمود بدافع من عمه الا أن السلطان محمود استطاع أن يتقى غضب أخيه ويكرمه بأن سلمه امارة مدينة كنجه ، ولعل هذا ما كان يخطط له السلطان سنجر ليقضى على النزاعات بين أبناء أخيه محمد .

ولما مرض السلطان محمود عين ابنه داود في السلطنة ، ثم توفي السلطان محمود في شوال سنة ١١٣١/٥٥٢٥م ، وخطب لابنه داود في بلاد الجبل وآذربيجان ، وعلى أثرها وقعت الفتنة على طلب السلطنة بينه وبين اخوته مسعود وسلجوق شاه ، وحدثت بينهم مناوشات كثيرة على أمل أن يحظى كل منهم بأمور السلطنة<sup>(١)</sup>.

ومن هذه المناوشات التي دارت بينهم أن مسعود كان بكنجه ولما علم بموت أخيه سار الى تبريز<sup>(٢)</sup> فملكها ، وسار اليه أخوه داود فحاصره بها ،

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، ص ٤٢-٤٥ - ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢، ص ٦٠ - الذهبي : العبر في خبر من غير ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

(٢) تبريز : مدينة تقع في إقليم آذربيجان لها شهرة تاريخية ، أراضيها خصبة حيث بها نهران ، أول : مهرا ن رود ، والثاني : سردرو . كثيرة الخيرات من فواكه وحبوب وغيرها .

ثم خرج منها قاصدا شهرروز<sup>(١)</sup> وهى بلاد الأمير قفجاق بن أرسلان تاش التركمانى<sup>(٢)</sup>.

وفى سنة ١١٣٢/٥٥٢٦م سار مسعود الى بغداد ، وقد سبق سلجوق شاه ومعه قراجا الساقى الى بغداد طلبا للسلطنة ، واستنجد مسعود بعماد الدين زنكى فأجابه وسار من الموصل الى بغداد والتقى بمسعود بتكرت ، وسار قراجا الساقى بجيش كبير الى تكريت والتقى بعماد الدين زنكى حيث كان النضر حليف قراجا الساقى ، ثم رجع عماد الدين زنكى الى الموصل بينما رجع قراجا الى بغداد .

ووصل السلطان سنجر الى همذان ومعه جيش كبير وكان برفقته طغرل بن محمد<sup>(٣)</sup> ليرتب له أمور السلطنة، وأرسل الخليفة العباسى المسترشد بالله الى مسعود ليتوقف عما بينه وبين أخيه سلجوق شاه من منازعات ، اضافة الى الاتفاق بين الأخوين لقتال عمهما السلطان سنجر ، وبالفعل استقر الصلح بينهما على أن تكون السلطنة لمسعود وولاية العهد لسلجوق شاه وبذلك قطعت خطبة السلطان سنجر من العراق كله ، وسارا الى قتاله ، والتقى الجمعان قرب الدانيور ، ولم يبادر مسعود بالهجوم انتظارا لقدوم

(١) شهرروز : مدينة تقع فى إقليم الجبال شمال غرب الدينور ، ذكر أنها كانت حصينة ويسكنها الأكراد ، يطلق عليها الفرس (نيم راه) بها آثار الساسانيين .  
انظر كى لستريج : المرجع السابق ، ص ٢٢٥، ٢٢٦ .

(٢) قفجاق بن أرسلان تاش التركمانى : هو زعيم القبيلة التركية الايوائية أحد فروع الغز ، مؤسس الامارة الكركوية التركمانية ، قام عماد الدين زنكى سنة ١١٣٩/٥٥٣٤م بحملة ضدهم فهزمهم واستولى على اقطاعاتهم ، بعدها أصبح الايوائيون فى خدمة الزنكيين .

انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٩٥ - أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٣) طغرل بن محمد : ولد فى محرم سنة ١١٠٩/٥٥٠٣م وقد اشتهر بالعدل بين الرعية محسنا لهم عاقلا ، خرج لمقاتلة أخيه مسعود فقال للناس : ادعوا بخيرنا للمسلمين وفى هذه الأثناء جاءت الوفاة وكان ذلك فى محرم سنة ١١٣٥-٣٤/٥٥٢٩م .  
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٤٥ .

الخليفة المسترشد بالله لمساندته حسب وعده له الا أن الخليفة غربه وجعله يلاقى ويلات القتال وحده ، وهذا ليس بالغريب فقد كان الخليفة يقف دائماً مع القوى من السلاطين السلاجقة خوفاً على مركزه .

وكان يساند سنجر على ميمنته طغرل بن محمد وقماج وأمير الأميران وعلى ميسرته خوارزمشاه علاء الدين أتسز بن محمد مع جمع من الأمراء ، وأما مسعود فكان يسانده على ميمنته قراجا الساقى والأمير قزل ، وعلى ميسرته برتقش بازدار ويوسف جاووش وغيرهما ودارت الحرب بين الطرفين ، وكاد الأمير قزل أن يلحق الهزيمة بسنجر حيث هجم قراجا الساقى بعشرة آلاف فارس على جيش السلطان سنجر ، فرجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى الورا خطة منهم ، فصار قراجا الساقى فى الوسط فقاتل الى أن جرح وقتل عدد كبير من جنوده ، فانهزم مسعود بن محمد وأسر قراجا للساقى وأمر السلطان سنجر بقتله ، ثم عفا عن مسعود وأعادته الى كتجه وأجلس طغرل بن أخيه محمد على سلطنة بغداد وخطب له فى جميع البلاد ثم عاد الى خراسان<sup>(١)</sup> . ويظهر لنا جلياً حلم السلطان سنجر وتعاطفه على أبناء أخيه ورغبته فى توليهم مناصب فى الدولة السلجوقية ، رغماً من خيانة بعضهم له .

وفى رمضان سنة ٥٢٦/١١٣٢م وقعت الحرب بين السلطان طغرل بن محمد وبين أخيه داود ، والسبب فى ذلك أن السلطان سنجر أجلس طغرل بن محمد على السلطنة ثم عاد الى خراسان ، وفى عودته الى خراسان عصى داود ابن محمود عمه السلطان طغرل حيث جمع العسكر وسار الى همذان ونزل عند قرية يقال لها وهان بالقرب من همذان . والتقى العسكران وانهزم عسكر داود ، وأسر الأمير برتقش الزكوى الذى كان على ميمنة داود وفدى

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٢٢، ٣٣٦، ٣٣٧ - التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، ص ٤٢-٤٥ - ابن الوردى : تممة المختصر ، ج ٢ ، ص ٦٠ - الذهبى : العبر فى خبر من غير ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

نفسه بسبعين ألف دينار ، وبعد أن انهزم داود سار الى بغداد وأكرمه الخليفة المسترشد بالله وأنزله بدار السلطنة (١). فلما علم بذلك السلطان مسعود قدم في سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م الى بغداد أيضا واستقبله الملك داود بن أخيه محمود وأنزله بدار السلطنة ، فأكرمهما الخليفة وخلع عليهما فخطب لمسعود ثم لداود من بعده ، بعد ذلك عقدوا اتفاقا على قتال طغرل فجمعوا حشدا كبيرا من العسكر وأرسل الخليفة معهم جنودا لمساعدتهم فقاد السلطان مسعود الجيش كله وسار الى آذربيجان فاشتبك مع أمرائها ودار قتال شديد هزموا فيه وقتل منهم أعدادا كبيرة ، ثم توجه الى همذان لمقاتلة أخيه الملك طغرل فلما علم بذلك خرج الى لقائه ، وتقابل الجيشان في معركة طاحنة ، انهزم فيها طغرل ، وبذلك نجح مسعود في الاستيلاء على أمور السلطنة .

ولم يكتف مسعود بذلك بل تبع أخاه من موضع الى موضع حتى وصل الى الري ، وحدث بينهما قتال للمرة الثانية ، وحلت الهزيمة بطغرل مرة أخرى وأسر جماعة من أمرائه ثم رجع السلطان مسعود الى همذان (٢). وفي سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م وصل السلطان مسعود خير بقرد ابن أخيه داود ابن محمود بأذربيجان فجهز جيشا وتوجه اليه وحاصره بقلعة رونزروكان (٣) فتحصن بها الملك داود ، وبينما كان السلطان مسعود مشغولا بذلك قام الملك طغرل باستغلال انشغال أخيه مسعود ، فاستمال بعض قواده وأمرائه وأغراهم بما يرغبون ، فتوجه بجنده نحو مسعود ووقع القتال بينهما مما أدى ذلك الى الحاق الهزيمة بمسعود فهرب في أواخر رمضان وطلب من الخليفة المسترشد بالله الاذن له بدخول بغداد فسمح له بذلك ، وكان الملك سلجوق

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٢٨ - العيني : عقد الجمان ، ج ١٢ ، ورقة ١٥ - الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .
- (٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٢٩ ، ٣٤٠ - أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٧ .
- (٣) رونزروكان : تقع باقليم آذربيجان .
- انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٤٢ .

شاه بأصفهان فلما علم بهزيمة مسعود توجه هو أيضا الى بغداد ونزل بدار السلطنة فأكرمهما الخليفة ، واستولى طغرل على همذان (١).

وفي سنة ١١٣٥/١٥٢٩م استعد الخليفة بتزويد السلطان مسعود بما يحتاج اليه من عسكر وعتاد ووعده بالسير معه لمقاتلة أخيه الملك طغرل . وفي هذه الأثناء اتصل بعض الأمراء بالخليفة المسترشد بالله وطلبوا الانضمام اليه فرحب بهم الا أن الأقدار شاءت فتحولت الى عداء . والسبب في ذلك رجل قبض عليه فوجد معه رسائل من طغرل الى هؤلاء الأمراء بالاقطاع لهم ، فغضب الخليفة ، وقبض على أحدهم فجرده من ماله ، فلما وصل النبا للآخرين هربوا وانضموا الى عسكر السلطان مسعود ، فأرسل اليه الخليفة يطلب اعادتهم ، فلم يلب طلبه فساءت العلاقة بينهما مما أدت الى تأخر سيرهما الى همذان ، واشتدت مراسلات الاحتجاج بينهما . وبينما الحال كذلك توفي الملك طغرل في محرم من هذه السنة فكان الحظ حليفا لمسعود حيث استولى على همذان ومن ثم أصبح مسعود سلطانا لسلاجقة العراق (٢).

الا أن الأوضاع لم تهدأ للسلطان مسعود والسبب يرجع الى أن الأمراء أصدقاء أمس أصبحوا أعداء اليوم ، حيث طلبوا من الخليفة المسترشد بالله الأمان والصفح عما بدر منهم والانضمام اليه فقبل منهم ، وكان يرفقتهم الأمير ديبس بن صدقة ، وكانوا يعزمون تسليمه الى الخليفة ، فلما علم بذلك هرب الى السلطان مسعود ، ووصلوا الى بغداد في رجب من هذه السنة فأكرمهم الخليفة . ثم بدأ الأمراء يحرضون الخليفة على محاربة مسعود فخطبتهم من بغداد ، فعزم الخليفة على السير الى قتاله في العشرين من رجب ، ثم تريت ثم سار في شعبان ، وقد بلغ جيشه نحو سبعة آلاف فارس وتخلف في العراق ثلاثة آلاف للدفاع عنها خوفا من هجوم أعوان السلطان مسعود ، وكان بهمذان وعدد جيشه نحو ألف وخمسمائة فارس ، وكان معظم الولاة

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٤٢، ٣٤٣ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٤٥ .

يراسلون الخليفة ويبدلون له الطاعة ، فما كان من السلطان مسعود الا أن استخدم السياسة معهم فأعاد أكثر الولاة اليه فصار جيشه نحو خمسة آلاف فارس ، بالإضافة الى تسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى أصبح خمسة آلاف ، وقد حاول البعض ارسال نجدات لمساعدة الخليفة الا أنها لم تلحق به لأنه كان في طريقه نحو السلطان مسعود ، وتقابل الجيشان بدائمرج<sup>(١)</sup> في العاشر من رمضان من هذه السنة ، فانضمت ميسرة الخليفة الى السلطان مسعود ، واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالا خفيفا انتهى بهزيمة عسكر الخليفة وتم أسر المسترشد بالله ومعه جمع كثير من أصحابه منهم الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبي<sup>(٢)</sup> ، وقاضى القضاة<sup>(٣)</sup> ، وصاحب المخزن ابن طلحة<sup>(٤)</sup> ،

(١) دايمرج : مدينة قرب همذان .

انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٢٠٨ .

(٢) شرف الدين على بن طراد الزينبي : هو على بن طراد بن محمد بن على الزينبي الهاشمي ، ولد سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م ، يلقب بأبي القاسم شرف الدين ، برع في سياسة الملك وتدبيره ، فولاه المستظهر بالله نقابة النقباء ، فلقب بالرضي ذي الفخرين ، ثم استوزره الخليفة المسترشد بالله ، يقال أنه لم يوزر للخلفاء العباسيين هاشمي غيره ، ثم وزر للخليفة المقتضى لأمر الله فاعترض على الخليفة في أمر مما أدى الى حدوث خلاف بينهما ، فاستقال سنة ٥٣٤هـ / ١١٤٠م ولزم بيته الى أن توفي سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٤م .

انظر ابن طقطقا : الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ٣٠٥ - خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .

(٣) قاضى القضاة : هو أبو القاسم على بن الحسين الزينبي ، تولى القضاء في عهد الخليفة المسترشد بالله ، والخليفة الراشد ، ثم المقتضى لأمر الله ، وقد توفي في عهده أى قبل عام ٥٥٥هـ / ١١٦١م .

انظر ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣١ .

(٤) ابن طلحة : أبو الفتوح ، لم أقف على ترجمة له .

وابن الأتباري (١). فأنزل الخليفة في خيمة منفردة والباقون في قلعة سرجهان (٢)، ويقال إن في هذه المعركة لم يقتل أحد ، ثم عاد السلطان الى همذان وأرسل أحد الأمراء رسولا الى بغداد فاستولى على جميع أملاك الخليفة مما أثار عامة الناس ضده ، فحدث قتال بين العامة وأصحاب الشحنة فقتل من العامة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلًا وهرب البعض . أما السلطان مسعود فتوجه الى مراغة (٣) ونزل على فرسخين منها ومعه المسترشد بالله لقتال ابن أخيه الملك داود بن محمود حيث قد تمرد عليه ، وكانت الرسل تتردد بين الخليفة والسلطان مسعود في تثبيت قواعد الصلح وهي أن يقوم الخليفة بدفع المال للسلطان ، وألا يكون جيشا ، وألا يخرج من داره . ونرى هنا أن السلطان استطاع أن يفرض شروطه على الخليفة لما كان له من هيمنة وسيطرة على البلاد وأهلها ، وقد تتدخل السلطان سنجر عندما علم بأسر الخليفة المسترشد بالله ، فطلب من السلطان مسعود أن يعيد الخليفة الى مقره ببغداد معززا مكرما ، فخضع مسعود لأوامر عمه السلطان سنجر (٤)

(١) ابن الأتباري : هو سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن الأتباري تولى منصب كتابة الانشاء في دار الخلافة لحمة خلفاء وكثير من السلاطين منذ سنة ١١٣٦/٨٥٣٠ م ، كان يقرض الشعر ، عاش حتى قارب التسعين عاما ، توفي في ١٩ رجب ١١٦٤/٨٥٥٨ م .

انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٧٣ - الزركلي : الأعلام ، ج ٧ ، ص ٤٢ .  
(٢) سرجهان : وتقع قلعة سرجهان المبنية فوق حلة الجبل في نصف الطريق صاين قلعة والسلطانية وتبعد عن الأخيرة بحمسة فراسخ ، وتشرف على السهول الواسعة وتمتد شرقا الى أبهر وقزوین ووصفها البعض بأنها من أحصن القلاع وأحكمها .  
انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ - كس لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥٨ .

(٣) مراغة : من أشهر مدن بلاد أذربيجان ، فيها أشجار السرو العظيمة .  
انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٧٧٧ - كس لسترنج : المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٤٨، ٣٤٧ - الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٢٠٩، ٢٠٨ - القلقشندي : مآثر الانافة ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

وبعد عودته الى بغداد قتل على يد أحد فدائي الاسماعيليين<sup>(١)</sup>، وتولى ابنه الخليفة العباسي الراشد بالله من عام ٥٢٩هـ حتى عام ٥٣٢هـ / ١١٣٥-١١٣٨م أمور الخلافة.

وفي سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٦م أرسل السلطان مسعود برتقش الزكوي الى الخليفة الراشد بالله يطلب منه دفع المبلغ المتفق عليه مع والده على أساس الصلح الذي تم معه فرد طلبه وأخبره بأن الأموال التي كانت مع أبيه قد نُهبت ، فاتفق برتقش مع شحنة بغداد في استخدام القوة وذلك بالهجوم على دار الخلافة يوم الجمعة وأخذ المال عنوة ، فلما بلغ الراشد بالله ماخطوا عليه ، استعد لهم فجمع عسكره واستطاع أن يصددهم ويبعدهم عن بغداد ، ولعل هذا الأمر جعل معظم أمراء البلاد يجتمعون على الخروج من طاعة السلطان مسعود والاستعداد لحربه ، فتوجه الملك داود بن محمود بجيشه من آذربيجان الى بغداد فوصلها في الرابع من صفر من نفس السنة ثم تلاه أتاكب عماد الدين زنكي وبرتقش بازدار<sup>(٢)</sup> صاحب قزوین ، والبش الكبير<sup>(٣)</sup> صاحب أصفهان ، وصدقة بن دبیس وغيرهم .

(١) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٦٢ - ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، صححه الأب انطوان صالاني اليسوعي ، دار الرائد اللبناني ، ص ٣٥٤ - الحسيني : المصدر السابق ، ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

(٢) برتقش بازداران : هو مظفر الدين. سعد الدولة برتقش البازدار ، تولى امانة قزوین توفي قبل عام ٥٤١هـ / ١١٤٤م .  
انظر الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ج ١ ، ص ٢١٤ - الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٢٢٢ .

(٣) البش الكبير : في سنة ٥٣١هـ / ١١٣٤م ، تقدم الى السلطان مسعود مع جماعة من الأمراء لطلب الرضى منه والاعتذار عما بدر منهم في حربهم ضده عندما كانوا برققة الملك داود ، فرضى عنهم وأمنهم ، وولى البش شحنة بغداد ، ففسد الناس وظلمهم ، وعاملهم معاملة سيئة ، وفي سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٥م سار سلجوق شاه ابن محمد الى بغداد فخرج اليه البش وحدث قتال بينهما ، مما أثار العيارين ببغداد ونهبوا الأموال وقتلوا الرجال ، فرجع اليهم البش وقتل منهم وصلب مما جعل معظم الناس يرحلون عن بغداد ، ولما اشتكى الناس من كثرة =

وقد قام الملك داود باضافة شحنكية بغداد الى برنقش مما شجع الخليفة الراشد بالله الى أن يقوم بعزل بعض رجال دولته لما لمسه من سوء نيتهم له وقد تدخل بعض الأمراء للشفاعة عن بعضهم فقبل الخليفة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود ، ثم وصل الملك ساجوق شاه الى واسط ، وحث الجميع على الاستعداد لمواجهة السلطان مسعود . ثم وصلت الأخبار الى الخليفة الراشد بالله بتوجه السلطان مسعود نحو بغداد فأرسل في الخامس من رمضان من هذه السنة الى الملك داود وسائر الأمراء يأمرهم بالعودة الى بغداد ، وبالفعل استجاب الجميع لنداء الخليفة - هذا يفيدنا بأن الأمراء غادروا بغداد بعد حضورهم في المرة الأولى - وتعاهدوا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد الأمر الذي جعل السلطان يبذل قصارى جهده في كسب ود الخليفة فبعث رسالة اليه وفي نفس الوقت يهدد الأمراء المجتمعين معه فعرض الخليفة الرسالة عليهم مما زادهم عزماً على قتاله وأيدهم الخليفة في ذلك (١).

وعندما علم السلطان مسعود أن محاولاته في التقرب من الخليفة باءت بالفشل جمع جنده وتوجه بهم الى بغداد فحاصرها وعاثوا فيها فساداً ونهباً وقتلاً ، واستمر حصارهم لها قرابة نيفاً وخمسين يوماً فلم يستطع أن يظفر بهم فقرر العودة الى النهروان (٢) ، ومنها الى همدان . وبينما هو كذلك اذ

= ظلمه وتعمسه أمر السلطان مسعود بالقبض عليه وارساله الى تكريت ليسجن فيها عند مجاهد الدين بهروز ، ثم أمر بقتله ، وعندما علم بذلك ألقى بنفسه في دجلة فغرق فأخذ برأسه الى السلطان في سنة ١١٣٥/٨٥٣٢ م .

انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٦١، ٣٦٢ .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٥٢ .

(٢) النهروان : نهر طوله مائتا ميل يقع في شرق دجلة يبدأ من أسفل تكريت وينتهي في دجلة على نحو من خمسين ميلاً من شمال واسط وكان يسقى مافي الجانب الأبعد من دجلة أي جهة ايران .

انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٨١، ٨٥ .

وصل طرنطاي<sup>(١)</sup> صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فرجع ذلك من معنويات السلطان ، فاستخدم السفن في العبور بها نهر دجلة . وأراد الجيش البغدادى صده الا أنهم فشلوا فغير وكان فشلهم بمثابة بداية خلافهم - أقصد الأمراء والخليفة - فتفرقت كلمتهم بعد أن دب النزاع بينهم . وعلى أثر ذلك رجع الملك داود الى بلاده في ذى القعدة من هذه السنة وتفرق الأمراء الآخرين ، حيث اصطحب عماد الدين زنكى الخليفة وسارا الى الموصل ، فلما وصل الحيز الى السلطان مسعود بمغادرة الخليفة وعماد الدين زنكى بغداد توجه اليها في منتصف ذى القعدة ونشر الأمن فيها ، وسعى في خلع الخليفة الراشد بالله من خلافته ، فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف بها له وفيها بخط يده : "انى متى جندت أخرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الأمر"<sup>(٢)</sup> فأفتوا بخروجه من الخلافة .

وقد مضى الراشد بالله والأتابك عماد الدين زنكى الى الموصل ، ووصل السلطان مسعود الى بغداد ، ومنها أرسل رسولا الى عماد الدين زنكى . وخشى الخليفة الراشد بالله أن يتم الصلح بين عماد الدين زنكى

(١) طرنطاي : واسمه طرنطاي المحمودى ، صاحب شحنة واسط وقد استاء مع مجموعة من الأمراء من السلطان مسعود بن محمد لميله الى خاصبك ، وقد توجه مع الأمراء بعساكرهم الى بغداد فوصلوها في ربيع الآخر سنة ٥٤٣/١١٤٦م ولكن أهل بغداد صدوهم في البداية وقتل فيها بعد خلق كثير .  
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٢٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٥٤ . وورد النص عند محمد مسفر الزهرانى بلفظ : (أنتى متى جمعت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الأمر) . انظر : نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية ، ص ١٤٢ . نقله عن : ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٦٠ - ابن العبرى : مختصر الدول ، ص ٣٥٦ - ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ، ص ٥١١-٥١٢ . ويرى محمد مسفر الزهرانى أن هذا الخطاب المنسوب الى الخليفة الراشد بالله كان مزورا . انظر المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

والسلطان مسعود ومن ثم يتم تسليمه اليه فخرج من الموصل قاصدا السلطان سنجر بخراسان ، بينما اجتمع السلطان مسعود في بغداد بكبار رجال الدولة والفقهاء ، وبايعوا المقتضى لأمر الله . ووصل الخبر الى الراشد بالله حيث كان بدامغان فكتب الى السلطان سنجر كتابا اشتكى فيه من السلطان مسعود وطلب منه أن ينصره ويعاونه وذلك في العشر الأول من رمضان سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م ، فرد عليه سنجر في العشرين من رمضان من نفس السنة ومضمون رده أنه لم يجبه الى طلبه ، فتيقن الراشد بالله أن السلطان لن يلي طلبه .

وخرج الراشد بالله من دامغان طالبا الثأر ، حيث وصل الى أصفهان وملكها ، الا أنه مالبت أن قتل على يد فدائي الاسماعيلية في أصفهان في رمضان من سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م<sup>(١)</sup>.

وفي شعبان من سنة ٥٤٣هـ/١١٤٩م توجه السلطان سنجر نحو الري لقتال السلطان مسعود ، وسبب ذلك ماساد في عهد مسعود من فوضى وقلقل واستيلاء خاص بك بن بلنكري<sup>(٢)</sup> على أمر السلطان مسعود ، وأرسل الى السلطان مسعود يأمره بإبعاد خاص بك بلنكري والا فانه سيقصده ويبعده عن السلطنة ، ولم ينفذ السلطان مسعود أوامر السلطان سنجر ، وهذا مما جعل السلطان سنجر يجهز حملة ويتجه بها نحو الري لقتال السلطان مسعود. ولما علم السلطان مسعود بوصول السلطان سنجر الى الري سار اليه ليسترضيه كي يصفح عنه لما بدر منه ، فأكرمه السلطان سنجر ورضى عنه ،

(١) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٠٨، ١٠٩ .

(٢) خاص بك بن بلنكري : هو بك أرسلان خاصبك بن بلنكري وكلمة بلنك أصلها (فارسي) تعني النمر الأرقط وكلمة آري أصلها (تركي) تعني غلة ، كان من غلمان السلطان مسعود بن محمد .

الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٢١٩ .

وكان اجتماعهما في سنة ١١٥٠/١١٥٤٤م (١).

وفي شهر رجب من نفس السنة قصد بغداد ملكشاه بن عمود (٢) ومعه كثير من الأمراء اضافة الى علي بن ديبس (٣) وجماعة من التركمان وطلبوا من الخليفة المقتفى لأمر الله سنة ١١٥٠/١١٥٤٤م أن يحطب له ، فامتنع الخليفة عن ذلك ، وأرسل الخليفة الى السلطان مسعود يطلب منه القدوم اليه ويستحبه على ذلك ، فلم يجب السلطان مسعود الى ماطلبه الخليفة ، وهنا تدخل السلطان سنجر بأن أرسل الى ابن أخيه السلطان مسعود ويتوعده ان لم يسرع الى الخليفة وينقذ الموقوف ، ف جاء السلطان مسعود الى الخليفة المقتفى لأمر الله في أواخر السنة وبذلك انتهت تلك الشرور وتحولت الى سرور (٤). ومن هنا يتبين أن الحقد الذي استشرى بين أبناء الأسرة الواحدة - السلجوقية - بسبب النزاع على السلطة تحول الى عداوة ووصل الحد الى القتال أكثر من مرة بين الاخوة ، ومن ثم تلاشت الروابط الأسرية .

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢ - الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٢٢٧، ٢٢٨ - أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٧٥ .
- (٢) هو : ملكشاه بن عمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، ملك خوزستان سنة ١١٥٣/١١٥٨م . مات مسموما بأصفهان سنة ١١٥٦/١١٦٠م .
- انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٧١ .
- (٣) هو : الأمير علي بن ديبس بن صدقة ، صاحب الحلة بأسد أباد ، اتهم طبيبه بالتقصير في علاجه ، توفي سنة ١١٥٥/١١٥١م .
- انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٩ .
- (٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٦٩ - ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٢٥ .